أنواع الإلحاد

هناك أنواع كثيرة من الإلحاد، ولكل نوع شكله الخاص وعوامله المختلفة، فمثلًا هناك «الإلحاد المطلق» وهو إنكار الألوهية وما يتفرع عنها من رسل ورسالات، وهناك ما هو أقل مثل «الإلحاد الجزئي» من خلال الاعتراف بوجود إله خالق مع إنكار تصرفه وسيطرته على شئون البشر، وهناك أنواع أخرى مثل «اللاقدرية» و«العدمية» وهي اليأس من عدالة الأرض والسماء والشعور باللاجدوى، وكذلك «الإلحاد العابر» في مرحلة من مراحل العمر وخاصة المراهقة والشباب، و«الإلحاد الباحث عن اليقين» وهناك «الإلحاد التمردي» من خلال التمرد على السلطة أيًّا كان نوعه.

لهذا نجد أن الكثير من حالات الإلحاد لدى الشباب لا تجدى معها الحوارات الدينية ولا تقديم الأدلة والحجج والبراهين؛ لأن الأصل في المشكلة ليس دينيًّا أو عقليًّا وهو ما يجعل الملحد يكثر من الجدال لأنه يريد تحقيق انتصار على الرموز الدينية التي يكرهها وعلى المجتمع الذي يرفضه وعلى السلطة التي يتمرد عليها، وقد يرفض الملحد أية أدلة على الألوهية لأن إلحاده يحقق له ذيوع الصيت بين أقرانه.

- أسباب الإلحاد وعوامل انتشاره:

لعل من أهم العوامل والدوافع النفسية وراء الإلحاد هو: الأب القاسي والضعيف، وعدم وجود الأب، وأيضًا التشدد الديني حيث يكون الفرد شديد الخوف من الله، في الوقت الذي يكون متعطشًا لارتكاب المحرمات، ولكي يعصي الله دون تأنيب ضمير يقنع نفسه بأنه ليس هناك إله وأن هذه خرافات ومن دوافع الإلحاد النفسية أيضًا الإحساس بالنقص حيث يكره الإنسان نفسه بسبب عيب ما في خلقته فيكون إلحاده بمثابة اعتراض على خالقه، ومثل ذلك الاضطهاد الذي تعانيه المرأة باسم الدين فهو شرارة

البداية التي جعلت كثيرات من النساء يتركن الدين، ويتساءلن عن مدى صحته أو ملاءمته ويشكون في عدل الإله وهناك أيضًا الغرور المعرفي والثقافي، الذي قد يقود الإنسان إلى الانحراف الفكري والإلحاد. وكذلك سطوة الشهوات حين لا تكون سببًا مستقلًّا وحدها ولكنها بمنزلة المحفز للجوء لخيار الإلحاد كي يهرب الإنسان من وخز الضمير.

وأحيانًا تجد الإلحاد وقد أصبح لدى البعض بمجرد موضة ومراهقة فكرية أو وسيلة للفت أنظار الآخرين واستعراض العضلات! وغالبًا ما تجد هذا التوجه عند الأشخاص محبي الظهور والبروز ولفت النظر.

وهناك عوامل أخرى تساعد على انتشار الظاهرة منها ارتفاع نسبة الجهل والتخلف الاقتصادي والسياسي والتنموي، وأيضًا اقتران القوة المادية بالإلحاد، كذلك يرى البعض في الإلحاد سببًا للقوة والعلم ويعتبر أن الدين يعني التخلف والجهل.

وقد كشفت مواقع التواصل الاجتماعي المتعددة الكثير من هذه العلل النفسية، بعد أن وفرت لهؤلاء الشباب المغرر بهم مساحات كبيرة من الحرية أكثر أمانًا للتعبير عن آرائهم ووجهة نظرهم في رفض الدين بعيدًا عن التابوهات التي تخلقها الأعراف الدينية والاجتماعية، وقد رصدت هذه المواقع تصريحات لعدد من الشباب الذين أكدوا أنهم لا يعارضون الدين ولكنهم يرفضون استخدامه كنظام سياسي داعين إلى فصل الدين عن الدولة، في حين رفض فريق آخر منهم الدين أو رفض الإله ككل.

ومن أهم أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد الخطاب الديني المتشدد الذي تصدره التيارات الإسلامية المتزمتة التي تؤصل لأهم مشكلات التدين في العصر الحديث، وهي إشكالية الصراع بين الجوهر الروحي والخلقي الذي يمثل حقيقة الدين - وبين القشرة الشكلية الخارجية التي تصلح أمارة

وعلاقة – فقط – على أن هذا الإنسان ينتمي إلى ذلك الدين ويمارس تلك الشعائر، فهذه التيارات لا تعرف سوى التشبث بالأمور الشكلية التي قد تبعد الناس عن الدين.

وقد ظهر من الدراسات والإحصائيات أن الإلحاد في السنوات الأربع الماضية قد شهد نشاطًا كبيرًا، فقد ظهرت عشرات المواقع الإلكترونية على الإنترنت تدعو للإلحاد وتدافع عن الملحدين، وهذا لا يتماشى مع الأرقام الضئيلة لأعداد الملحدين التي أشار إليها مستشار مفتي الديار المصرية نقلًا عن مركز» ريد ستي» التابع لمعهد «جلوبال» والذي يبدو أنه راعى حرص الدول العربية على عدم الإعلان عن أعداد الملاحدة الحقيقية.

ويتهم علماء الاجتماع والنفس«السياسة» بأنها مسئولة مسئولية مباشرة عن انتشار ظاهرة الإلحاد خاصة في مصر والوطن العربي في الفترة الأخيرة حيث أصبح من الملاحظ أن البلدان التي شهدت ما عرف بثورات الربيع العربي هي أكبر الأماكن التي أصيبت بظاهرة الإلحاد خاصة في ظل تعثر تلك الثورات التي أجهضت وتم اختطافها بواسطة قوى يمينية أو يسارية أو نظم قديمة فاسدة تظهر في شكل جديد، وهو ما جعل الشباب يكفرون بقيم الحرية والكرامة الإنسانية وإمكانية تغيير مجتمعاتهم إلى الأفضل، فقد قاموا بالثورات وقدموا شهداء، ثم ضاعت جهودهم ومن هنا كفروا بكل شيء وتمردوا على كل شيء.

ويشير البعض إلى أن سبب تلك الظاهرة يرجع بشكل مباشر إلى الحالة العامة التي تعيشها مصر من انفلات أخلاقي وانتشار التطرف في المجتمع والذي تسبب في ظهور الكثير من الظواهر الجديدة على المصريين مثل النقيضين؛ التطرف التكفيري والإلحاد، وكذلك حوادث التحرش والاغتصاب.

- الإلحاد العصابي:

ولا ينبغي أن يغيب عنا كسبب مهم وراء الإلحاد نوع من الخلل النفسي (العصاب Neurosis) الذي يؤدي إلى تبني الإلحاد على المستوى الفردي، فبعد دراسات تحليلية مستفيضة أجراها أستاذ الطب النفسي الكبير بجامعة نيويورك «بول فيتز Paul Vitz » على شخصيات عديدة من كبار ملحدي العصر الحديث توصل إلى أن تبني الإلحاد قد يرجع إلى» خلل نفسي عصابي «Athiesmisa Neurosis» تقف وراءه رغبة دفينة في اللاشعور للتخلص من سيطرة الأب والحلول محله - كما يقول سيجموند فرويد - بينما يقف وراء الإيمان بإله ما يحققه من الشعور بالأمان. لذلك طرح بول فيتز مفهومًا أسماه:

«منظور التقصير الأبوي Defective Father Hypthesis » يربط فيه بين رفض سيطرة الأب البشري ورفض الأب الذي في السماء، كذلك هناك بعض حالات الإلحاد تكون مدفوعة لاضطرابات نفسية نذكر منها:

أولًا: اضطرابات الشخصية مثل«الشخصية الحدية» وهي شخصية متقلبة في مشاعرها وعلاقاتها وإنجازاتها ومعتقداتها، وتتميز بالاندفاعية وإيذاء الذات والملل المستمر، ولهذا نجد صاحب هذه الشخصية يتقلب في معتقداته الدينية فأحيانًا تجده متطرفًا دينيًّا وأحيانًا تجده علمانيًّا أو ملحدًا، ومثل«الشخصية البارانوية» ويتميز صاحبها بالاستعلاء وسوء الظن والشك في الآخرين واحتقارهم واحتقار معتقداتهم، وهو يستعلي على العامة ويرغب في أن يأخذ طريقًا خاصًّا ينفرد به كما يستعلي على الإيمان ويمكن أن يستعلي حتى على فكرة الإله الرب، وأيضًا «الشخصية النرجسية» وهي شخصية استعراضية تميل إلى المخالفة لجذب الاهتمام ونيل الشهرة والتمركز حول الذات، لذلك فأصحاب هذه الشخصية يرغبون

في إعلان الإلحاد والتباهي بذلك ووضع صورهم على صفحات الإنترنت ويرغبون في الدخول في مناقشات وجدال يضعهم تحت الأضواء.

ثانيًا: الأمراض النفسية مثل «الفصام، والاضطراب الوجداني، والاضطراب الضلالي، واضطرابات التوافق»، وهذه الاضطرابات تؤثر في تفكير الشخص ومشاعره وعلاقاته بالآخرين وبالحياة وقد تجعله يتوجه إلى اعتناق أفكار مخالفة لعموم الناس وعلى الجانب الآخر قد تدفع هذه الحالات المرضية صاحبها للتطرف في التدين كنوع من الدفاع النفسي ضد التفكك أو القلق أو الخوف.

لذلك كان من المهم أن نفرق بين أنماط ومستويات الإلحاد المختلفة، وأن ندرس كل حالة على حدة ونراعي الدوافع الكامنة وراء إلحاد كل شخص ولا يغرينا وجود عوامل مشتركة بأن نعمم الأحكام على الجميع.

وإذا كان لكل حالة سيناريو خاص للتعامل معها، فإن هناك قواعد عامة في التعامل مع هؤلاء الشباب منها: التفهم، والصبر، وطول البال، واستيفاء علامة جيدة رغم اختلاف وإعطاء الفرصة للتفكير والتيقن، وعدم فرض أفكار سابقة التجهيز؛ لأن المهم هو الاقتناع وليس الإذعان أو التظاهر بإيمان زائف، ولا شك أن العلاقة الطيبة مع الشخص ومساعدته على تجاوز أزماته النفسية والسياسية والاجتماعية تكون أهم من محاولات إقناعه بأدلة دينية وبحجج وبراهين عقلية أو نقلية.

- الإلحاد قصور عقلي:

إذا كان الإلحاد يدور عمومًا حول نفي أو إنكار وجود الله، - «الله «الذي هو الرب الخالق للكون والمنعم المعبود - فهل يستطيع «العقل» و«العلم» أن ينفيان وجود الإله، ليس لكونهم متهورين فكريًا، بل لأنهم يتجاوزون بـ «العقل والعلم» نطاقهما فـ«العقل والعلم» كلاهما له حدوده المعلومة التي

زادها البحث المعاصر تأكيدًا وتوضيحًا، حتى أصبحت كلا من العقلانية في قولها بالأسبقية المطلقة لـ»العقل» والعلمانية بمبالغتها في تقدير أهمية العلم غير ممكنتي بعد نسختهم مما حصلوه من عدة معرفية ومنهجية! فقد غاب عن هؤلاء أن الإله لا يستشهد عليه بالحس والإدراك المباشر باعتباره غير مادي ومن ثم يستدل عليه بآثاره تمامًا كالجاذبية والكهرباء، بل وأيضًا كعقل الملحد ذاته، لذلك فإننا ننظر إلى الإلحاد باعتباره لعبة عقلية تتم في القشرة الخارجية للمخ (Cortex) وهي أشبه ما تكون بتلك اللعبة العقلية التي تطالبنا بأن ١ + ١ = ٢ فهذه المعادلة رغم اتفاق عقلاء الأرض على صحتها إلا أن أرادوها الفلاسفة في كتبهم ولم يجدوا لها حلًّا إن هذا النوع من القضايا لا تجد له حلًّا إلا في كتب المنطق فالقضية بديهية عقلية ومفهوم فطري ومن ثم فالقضية نفسية في المقام الأول والأخير، وبحاجة إلى حلول نفسية وإعادة تأهيل، قبل كونها بحاجة إلى حشد حجج أو أدلة أو سياقات معرفية عقلية.